الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لـ«الأحداث المغربية»

استجوبت من طرف القناة الأولى! ولم أجد ما قلته على شاشتها

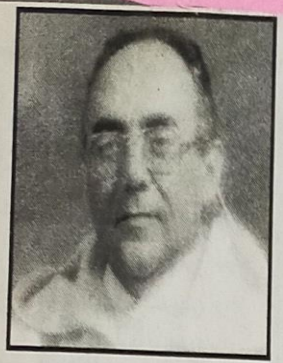

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله خريج جامعة الإزهر، ودرس العلوم الإسلامية على ثلة من كبار العلماء بالمغرب. مناضل وطني ومن الصحافيين الرواد (العلم، الاستقلال) يشغل حاليا رئيس تحرير مجلة القدس، وعضو أكاديمية المملكة. شغل الأستاذ بنعبد الله إدارة التعليم العالي والبحث العلمي، ثم إدارة المكتب الدائم للتعريب التابع لجامعة الدول العربية... شارك في عدة مؤتمرات، وحاضر في العديد من الجامعات العربية والعالمية، وعضو في العديد من الموسوعات ودوائر المعارف وأيضا المجمعيات العالمية والمجاميع اللغوية. في هذا الحوار الذي خص به جريدة «الأحداث المغربية» يتحدث الأستاذ بنعبد الله عن نشأة الصحافة الوطنية، وتجربته في هذا الميدان ويبدي رأيه في قطاع الإعلام ببلادنا... وفيما يلي نص الحوار:

● الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، باعتبارك من الصحافيين الرواد كيف تقيم الوضع الإعلامي ببلادنا؟

●● الواقع أنه لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال مباشرة إلا إذا استعرضنا نشأة الصحافة بالمغرب، أنتم تعلمون أن الصحافة في المغرب لم يكن لها وجود (الصحافة الوطنية) إلا بعد الظهير البربري، وقد كتبت بحثا مطولا سينشر قريبا في مجلة الأكاديمية المغربية حول نشأة الصحافة بالمغرب منذ أواسط القرن الماضي، لكنها كانت صحافة أجنبية استعمارية، ولكن بعد مطالبة المغرب بالاستقلال العام 1944 بدأت الصحافة الوطنية. كانت أول صحيفة وطنية هي جريدة العلم التي أشرفت على جانب منها لأني كنت أكتب حديث اليوم وحديث الأسبوع وأحرر معظم ما ينشر فيها. كانت هي لسان حزب الاستقلال آنذاك، وكان جميع قادة حزب الاستقلال يشاركون فيها كان الحاج أحمد بلافريج والمهدي بنبركة والبزيدي يأتون إلي في الصباح ويسألون عن موضوع حديث اليوم... لأن العلم كانت هي اللسان الوحيد آنذاك. كانت العلم صحيفة تجريبية لأن المغرب لم يكن له عهد بالصحافة كتخصص، كانت الفترة فترة تجربة وكان عدد الجرائد الصادرة آنذاك قليلا جدا بحيث الآن بعد مرور أزيد من ثلاثة عقود على الاستقلال أصبحت الجرائد تعد بالمئات أكبر من تلثها باللغة الفرنسية، هناك آراء مختلفة في ضرورة انتقاء المضمون والواقع أن لنا فيما يصدر في أوربا وأمريكا صورا حية لتطور الفكر الصحافي في العالم وأهم هاته المجالات التي يتطور في كل عام. ويقول البعض انه يجب أن يتطور مرتين على الأقل في السنة، ولكن ماهو مجال هذا التطور؟

الموضوعية تبقى هي الموضوعية، المصداقية تبقى هي المصداقية، النزاهة في النقل الدعوة بالحكمة وحتى الرد على الأجانب يرد بكيفية علمية لأن الذي لا يتكلم أو يتكلم قليلا أوقع تأثيرا من الذي يتكلم كثيرا لأنه ربما يتكلم ببعض كلمات نافذة إلى قلب الخصم، لهذا يجب الحفاظ على مستوى الصحيفة بعدم الانسياق مع الخصم في السباب، يجب أيضا تحري الصدق، لأن هنالك من ينقل كل ما سمع، ثم عدم التركيز على الديماغوجية لأن كلمة واحدة تصدر من جريدة أو مجلة تحترم نفسها يكون لها وقع أكثر من الكلمات التي تصدر عن غير مصداقية.

إذا قارنا بين ما يجب أن يكون في المغرب، وما نراه في أوربا أو في أمريكا نرى أن هاته الصحف كلها تحاول أن تنحرى المصداقية والموضوعية، ولكن غالبها يتم في المحظور ولذلك تجد هنالك تنابزا في الصحف، وقد بدأنا نحن في المغرب ننساق مع هذا التيار انطلاقا من بعض الاختيارات الحزبية لا انطلاقا من المصلحة العليا للبلاد، لأن الموضوعية تقتضي مني أنا مثلا الذي أنتمي إلى وجهة خاصة أن أذمن على كل رأي ينطلق من خصم ولكن ينطبق مع رأيي. كنا نسمع قبل الاستقلال وحتى في تونس بين الحبيب بورقيبة وغيره: «بئس الاستقلال الذي يأتي على غير أيدينا» ومع الأسف مازلنا إلى الآن نسير على هذا النهج وإن كان قل نوعا ما لأن المصداقية العالمية أصبحت تضغط بكل قوة على ما يصدر من هذه الجريدة، وتلك فتقلص نوعا ما هذا الانعدام في التحري والانضباط. إذا، في نظري إصدار مجلة أو جريدة صورة من السلوك الشخصي، مما ينبغي أن يكون عليه السلوك الشخصي من حيث الخلق، من حيث المروءة من حيث الكرامة من حيث الشخصية التي تفرض وجودها بالمصداقية دون تواضع ولا ضعة. أنا قرأت لعالم كبير من رجالات القرن الهجري، وهو ابن عربي الحاتمي كلمة قال فيها إن لي نظرة ربما كانت هي الوحيدة لم يسبق إليها وهي أن الله خلق الحقيقة خلق لها وجها وهذه الأوجه بعدد رؤوس كبار المفكرين، فعندما تنطلق من ذاك لا يمكن أن تتعارض مع الكلمة الأخرى، فمثلا عندما تكون برنقالة بيني وبينك قد تحكم عليها بالصفاء الذي تراه من جهتك وأحكم أنا عليها بالعكس فأنت محق وأنا محق ولهذا المروءة والشخصية والكرامة يجب أن تنبني على احترام الآخرين واحترام رأي الآخرين فالنزاهة في الحكم والموضوعية في الحكم هي التي تخلق المصداقية، والمصداقية هي أساس سمو كل جريدة.

● الأستاذ بنعبد الله، هذا عن الصحافة المكتوبة وماذا عن التلفزيون؟

●● الواقع أنني بدأت أشعر أن القناة الثانية تأثرت نوعا ما بالقناة الأولى، لأن ما كنا نسمعه ونراه في القناة الأولى ربما كان فيه نوع من التقليص الذي عرفناه إبان الحماية وهو (la censure) الرقابة وقد وقع لي هذا بالفعل لأنه استجوبت من طرف هذه القناة فلم المس ما قلته وكان في ذلك نقص مجحف لأنه أولا مساس بكرامة المستجوب ومساس بمضمون الحديث لأنه يفسده والأعظم من ذلك استجوبت مرة حول مكتب تنسيق التعريب، وحول ضرورة التعريب، وحول إمكانات التعريب، وحول ما حققه مكتب التعريب الذي وحد بين جميع المصطلحات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والحرفية والمهنية بالنسبة للثانوي في العالم كله، ولكن فوجئت بالقناة الأولى تبث مجموعة استجوبت في فترات متعددة ولكن أخذت لها صورة واحدة فكنت أسمع الرجل يسبني وأنا ساكت وهذا غير لائق. ودائما عندما تطلب مني هذه القناة أو تلك استجوابا اشترط أن لا أحضر مائدة مستديرة، فالمائدة المستديرة لا تليق أبدا لأنها لا تترك للرجل أن يتمم رأيه ولا أن يضيف شيئا آخر فإذا كانت هناك مائدة مستديرة ربما أقول شيئا أنطق بشيء ثم أستذكر شيئا آخرا فلا يسمح لي أن أقوله.

إن النزاهة والموضوعية تستلزم منا أن يكون هناك منهج دقيق على المستوى الإعلامي والسياسي ولكن للأسف لا يعمل بهذا في القناة الأولى، وبدأت القناة الثانية تحاول هذا وهو ما دفع القناة الأولى إلى فتح الباب أيضا فأصبحنا نسمع في القناة الأولى من يحاول نقد بعض الأعمال الحكومية.

● هل قطاع الإعلام يساير الوضع في المغرب والعالم بصفة عامة؟

●● في الواقع قد نجد بين هذه الصحف من أصبح يشعر بضرورة المصداقية، فالوعي الشعبي وعي صارم بحيث إذا سألت أحد أفراد الشعب عن الجريدة أو الصحيفة أو المجلة التي تقول الحق في نظره يقول لك المجلة الفلانية، ولكن لا تقول الحق كاملا لأن هناك قوانين تقلص من هاته الحرية، ليس في المغرب فقط بل في العالم كله بحيث في الولايات المتحدة الأمريكية تجد تناقضات كبيرة بين الصحافة، هذه تؤيد الجمهوريين وأخرى تؤيد الديمقراطيين على حساب الحقيقة، بحيث هاته الصفة شمولية حتى بالنسبة للدول المتمدنة فما بالأحرى المغرب الذي مازال في طريق التطور.

● الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، هل الإعلام المغربي وبخاصة التلفزيون يعبر عن هوية وتطلعات المواطن المغربي؟

●● إلى حد ما، ربما، لأن تطلعات الشعب أشياء لا يمكن أن نقال، وربما من عدم المروءة أن يشار إليها لأن الشعب كالطفل يريد أن يقول الحق في كل شيء، الحق يعلو ولو كان مرا، ولكن الحكمة تقتضي أحيانا أن لا نكون صرحاء أكثر من اللازم، ولهذا تكون دائما هوة بين الجماهير وبين المسؤولين.

● أغلب المغاربة يشاهدون القنوات الأجنبية وبخاصة العربية، في نظرك كيف السبيل لكي يعود هؤلاء لتلفزتهم؟

●● الواقع أن رجوع المغربي إلى القنوات الفضائية الأجنبية هو مثل رجوعه إلى الفاكس أو الأنترنيت، فحدود الرقابة على ما يجري أصبحت محدودة لأن في وسع الإنسان أن يستمع إلى ما يجري في العالم وإن ينظر إلى أشياء من خلال الأنترنيت لا يمكن أن تراقب، ولذلك أصبحت الآن أمام تيار جديد ولكن الشيء الذي يخشاه هو حياد هذا التيار عن الحقيقة وقد بدأنا نلمس هذا في الأنترنيت.

● الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، هل تتابع برامج الفضائيات الأجنبية؟

●● الواقع أن هناك نوعين من القنوات، القنوات العربية التي مازالت في بدايتها وقد نلاحظ عدم التحري وعدم الموضوعية في بعضها لأسباب سياسية أو إقليمية أو جهوية أو انتمائية ولهذا أصدم أحيانا ولو ببعض القنوات التي يقال أنها متحررة ولكن هي متحررة إلى جانب دون جانب.

أما ما يتعلق بالقنوات الأجنبية فتجد بعضها تتحدث عما يجري داخل بلادها أكثر مما تهتم بما يجري بالخارج وإذا حللت ما يجري في بلادها فإنها تحلل كما تحلل القناة الأولى عندنا وهذا شيء نلاحظه ولا يمكن أن أسمي لا هذا ولا ذاك.

● منذ تعيين الحكومة الحالية يتطلع المغاربة إلى أن تقوم بإصلاحات في جميع الميادين وبخاصة في الإعلام، في نظرك ما الذي عليها القيام به في ميدان الإعلام؟

●● لو كنت أنا نفسي في الحكومة لطلبت من الناس أن يتركوا لي شيئا من المجال والوقت من أجل تحقيق هذا التغيير المطلوب. ولكن الشيء الذي آخذه على بعض الإخوان من الحكومة ومعظمهم أصدقائي هو أنهم، وهي ميزة طيبة، لا يكثرون من الدعاية حتى فيما يحققون من أغراض، الواقع أن الشعب ينتظر مظاهر التغيير، وأخيرا أشار الناطق باسم الحكومة إلى أشياء حققوها، لو أعلنوا ذلك لكان في ذلك عامل بسيط من أجل اطمئنان الناس على ما ينتظرونه، ثم هناك عنصر ثان وهو أن في استطاعة الحكومة أن تقوم بتغييرات جذرية لا تحتاج لا إلى مالية.. ولا إلى قرارات ولا إلى أي شيء والشعب ينتظر هذا، لأن الشعب والجماهير أصبحت واعية وهي تشعر بأنه يجب أن يتوفر بعض الوقت لإتمام بعض التغييرات، لكن هناك تغييرات يمكن أن تصدر في هذا اليوم بقرار واحد والناس ينتظرون ولا يصدر أي شيء. هل صدرت وسكت عنها هذا العذر أقبح من الزلة ومع ذلك هذه ظاهرة نجدها في العالم كله بحيث الحكومة سواء في ألمانيا أو في فرنسا أو [illegible] غيرها ينبغي أن تعطى بعض الوقت ولكن لا يسمح لها في الأشياء التي لا توجد عراقيل في إبرازها حينا.

كلمة أخيرة: الواقع أننا مازلنا في تجربة، وهذه التجربة ينبغي أن تنبني على المصداقية والمصداقية لا يمكن أن ترتكز إلا على الخلق والشعور بمقومات الشخصية ومقومات الشخصية هي حفظ الكرامة وانتقاء الموضوعية والنزاهة.

الذي يتكلم قليلا يكون أوقع تأثيرا من الذي يتكلم كثيرا

— أجرى الحوار: —
— محمد النأسك —